التغيرات التركيبية في الأصوات الذلقية – المماثلة أنموذجا–

الأستاذة : نجيدة ولهاصي

أستاذة محاضرة " أ "

جامعة سيدي بلعباس

ملخص:

لأن الحدث الكلامي لا يقع على شكل أصوات مفردة ، و إنما هو سلسلة متصلة من الأصوات يلجأ الدارسون إلى تحليل الكلام إلى أصوات مفردة و دراسة خصائصها النطقية لأغراض علمية و تعليمية محضة . و أهم الموضوعات الصوتية الناتجة عن تتابع الأصوات في السلسلة الكلامية هو موضوع المماثلة و لعلماء العربية و التجويد إسهام كبير في استنباط ضوابط المماثلة في العربية قصرت عنه معظم دراسات المحدثين ، و سنركز على أنواع المماثلة في الأصوات الذلقية (اللام ، و الراء، والنون)و قد اختصرناها في عنوانين : المماثلة الجزئية و المماثلة الكلية .

الكلمات المفتاحية : التغيرات الصوتية –التغيرات التركيبية – الأصوات الذلقية – المماثلة الكلية –المماثلة الجزئية.

يطلق على التغيرات الصوتية مصطلح " القوانين الصوتية" وهي عبارة عن "علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة في وسط اجتماعي معين" [1]فهي بذلك ليست قوانين عامة شبيهة بقوانين علم الطبيعة أو الكيمياء، ولهذا السبب نجد تطورا صوتيا في إحدى اللهجات ، ولا نجد له أثرا في لهجة أخرى[2]. و غالبا ما يقسم الباحثون هذه التبدلات أو التغيرات التي تصيب الأصوات إلى نوعين:

أحدهما ما ينشأ عن تفاعل الأصوات، وتأثير بعضها في بعض أثناء التركيب، وهو أمر واقع في جميع اللغات(التغيرات التركيبية)، و ثانيها ما ينشأ بنتيجة تطور زمني يؤدي إلى إبدال حرف بآخر (التغيرات التاريخية)[3].

– التغيرات التركيبية أو البنيوية

نقصد بالتغير البنيوي كل ما يصيب الأصوات اللغوية من جهة الصلات التي تربطها بعضها ببعض في كلمة واحدة وهي "لذلك مشروطة بتجمع صوتي، وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللغوية"[4] .وما من شك أن التفاعل الذي يحدث بين الأصوات اللغوية – والذي يفسره ذلك التأثير والتأثر– يتحول في نهاية المطاف إلى إبدال أحد الصوتين صوتا آخر أكثر انسجاما وتلاؤما. وتحكم هذا التغير قوانين صوتية ، أهمها قانون المماثلة وقانون المخالفة، وهما اللذان ينبئان عن قدر معين من الاطراد في التطورات الصوتية ، وفي حدود معينة من الزمان والمكان؛ أي أنهما يشيران إلى أن صوتا معينا قد تطور إلى صوت آخر بذاته وفي فترة كذا، تحت ظروف معينة ومحددة تحديدا دقيقا[5].

المماثلة الصوتية assimilation

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام ، فحين ينطق المرء بلغته نطقا طبيعيا لا تكلف فيه نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر، كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضا لهذا التأثر . والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج، ويسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة[6] .وقد أشار علماء العربية القدماء إلى ظاهرة المماثلة ، إلا أن أمثلتهم كانت محدودة ، ومتناثرة هنا وهناك، ورغم قلتها ، إلا أنها تدل على عبقريتهم بالنسبة للعصور التي عاشوا فيها .

فقد تناولها سيبويه (ت180هـ) تحت تسمية " المضارعة "[7]. وعالجها ابن جني(392هـ) تحت ما يسمى بـــ" الإدغام بنوعيه الأكبر و الأصغر[8]."، بينما ابن يعيش (643هـ)أطلق عليها لفظ "التجنيس"،[9]، وتناول الإستربادي (686هـ) هذه الظاهرة تحت مسمى " المناسبة"[10].

أما علماء اللغة المحدثون فقد فصلوا الحديث عن ظاهرة المماثلة، وأنواعها ، وجعلوا لها مظاهر، منها[11]:

1- الجهر والهمس: وذلك إذا كان الصوتان المتجاوران تجاورا مباشرا مختلفين،فيتم التماثل بأن يقلب أحدهما إلى صوت قريب منه يوافقه في الصفة ليصبح الصوتان مجهورين ، أو مهموسين.

2- انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف ،أو العكس، وذلك ما يرافق غالبا صوتي الميم والنون . كما في قوله تعالى:(يَابُني اركب معنا و لا تكن مع الكافرين)– **هود** :**42** فقد قلبت الباء ميما ، أي أن صوت الباء انتقل إلى نظيره من أصوات الأنف ،و هو الميم.

3-انتقال مخرج الصوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر، فيستبدل به أقرب الأصوات إليه في المخرج الجديد.

4- تغير صفة الصوت من الشدة إلى الرخاوة، أو العكس، كما في بعض القراءات التي تدغم فيها الدال في الذال .

5- الإدغام (المماثلة الكاملة): وهو فناء أحد الصوتين في الآخر إذا كانا متجانسين ،أو متقاربين .

و تصنف المماثلة وفق اعتبارين اثنين :

1- بحسب درجة التأثر : فتكون **المماثلة جزئية** ؛ حين لا يتطابق الصوت مع الآخر تماما مثل : انبعث، و تكون **كلية** إذا تطابق الصوتان .

2- حسب اتجاه التأثير: **رجعية** (**مدبرة**) : وهي التي يتأثر فيها الصوت السابق بالصوت اللاحق.و مثالها:" تغيير الواو والياء إلى تاء إذا وقعتا فاء لافتعل، مثل:اتَّسر،واتَّعد "، و **تقدمية** (**مقبلة**): وهي التي يتأثر فيها الصوت اللاحق بالصوت السابق، مثل: اصطبر ، ونظائرها . وإن كان التأثير مشتركا بين الصوتين كانت متبادلة(**مزدوجة**)،وذلك نحو(مُدَّكِر)حيث أبدلت التاء والذال المعجمة بحرف مناسب لهما هو الدال .

أولا : (الممـــــــــاثلة الجـــــــــــزئية) المضارعة:

المضارعة في اللغة المشابهة والمقاربة[12]، وهي من مصطلحات سيبويه[13]، وسماها ابن جني في الخصائص بالإدغام الأصغر، وذلك حيث قال:" قد ثبت أن الادِّغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت، وهو في الكلام على ضربين..."[14]، هما الادغام الأكبر، والإدغام والأصغر الذي هو:" تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير ادِّغام يكون هناك"[15].

إذن فالمضارعة بين الأصوات لا تصل إلى درجة الإدغام الذي يقتضي تحول أحد الصوتين إلى مثل الصوت الآخر في مخرجه وصفاته؛ ولكنها تغير بعض صفات أحد الصوتين بما يقرب بينهما بشكل يخفف من عملية النطق بهما، فهي مماثلة جزئية.

و من مظاهر المماثلة الجزئية في الأصوات الذلقية نذكر :

1– **تغير المخرج** : قد يؤدي تجاور صوتين متباعديْ المخرج إلى نقل أحدهما إلى مخرج الآخر، ليتحقق الانسجام الصوتي ومن ذلك تجاور النون الساكنة مع الباء في قوله تعالى(...يا آدم أنبئهم بأسمائهم...)– **البقرة : 33** ؛ فالنون من طرف اللسان مع اللثة ، والباء من الشفتين، ولأن ذلك يحتاج إلى بذل جهد كبير لاختلاف المخرجين تحول النون إلى صوت من مخرج الباء، ويشترك معه في صفة الغنة، هو الميم، وهذا يقلل من الجهد العضلي[16].

فالتماثل لا ينحصر في نطاق الصفات فقط ، بل قد يتعدى ذلك إلى المخارج ؛ فالباء مثلا من مخرج الشفتين ، والنون من مخرج اللثة ، فإذا اجتمعتا في الكلام وكانت النون هي السابقة أثرت الباء في النون وحولت مخرجها من اللثة إلى الشفتين ، مثل : انبعث –امبعث. وبعبارة أخرى نقول : إن النون الساكنة انقلبت إلى ميم لمجاورتها الباء .

و هذه المماثلة ناقصة أو غير تامة ، يفسر ذلك محمد الصالح الضالع في قوله : " و مثال الناقصة في نطق كلمة (جَنْب) أو في نطق الكلمتين (منْ بِضاعة) شابهت النون الباء التي بعدها مباشرة في الشفتانية فقط ، ولم تشابهها في سمة الوقفية الانفجارية و يطلق علماء التجويد على هذه المشابهة غير التامة بين النون و الباء مصطلح الإقلاب لقلب النون بخاصة في هذا السياق الصوتي " [17]

والناظر في العلاقة بين الميم والنون يرى أن المخارج متباعدة، فالميم صوت شفوي، والنون من طرف اللسان مع اللثة العليا ، وبينهما حروف كثيرة وليس هنا ما يدعو إلى انتقال المخرج إذ لا يسوغ التبادل بينهما اللهم إلا إذا اعتبرنا اتحاد الصفات أمرا يدعو إليه ، ويسوغه.

وقد عالج ابن جني هذه المسألة في باب الإبدال بين النون و الميم، وذكر أمثلة منها: :قنبر، وعنبر، و قنبلة التي تلفظ (قمبر–عمبر–قمبلة)، وهو يذهب إلى أن الميم تبدل من النون إذا وقعت بعدها باء وهي ساكنة؛ وإنما قلبت لما وقعت ساكنة قبل الباء من قِبَل أن الباء أخت الميم، وقد أدغمت النون مع الميم نحو: من معك، فلما كانت تدغم النون مع الميم التي هي أخت الباء أرادوا إعلالها أيضا مع الباء إذ قد أدغموها في أختها الميم [18] .

والواضح أن وجود الباء في هذه الأمثلة استلزم انتقال النون من مخرجها إلى مخرج الباء، وترتب على هذا الانتقال أن استبدل بالنون صوتا نظيرا لها في المخرج الجديد، وأقرب أصوات هذا المخرج الجديد إلى النون هو الميم لأن كلا منهما من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين فضلا عن أن النون و الميم صوتان أنفيان[19]

وفي هذا يقول ابن جني : ولما كانت الميم التي هي أقرب إلى الباء من النون لم تدغم في الباء مثل أقم بكرا لا تقول : أقبكرا... ، كانت النون التي هي من الباء أبعد منها من الميم أجدر بألا يجوز فيها الإدغام في الباء، فلما لم يصلوا إلى إدغام النون في الباء أعلُّوها دون إعلال الإدغام، فقربوها إلى الباء ،وهو الميم"[20] .

و في المسألة ذاتها ورد قول ابن جني : " وذلك أنَّه لا يُنْكَرُ أن يؤثِّرَ الشيء فيما قبله من قبل وجوده؛ لأنَّه قد عُلِمَ أن سيرد فيما بعد ،وذلك كثير... وممَّا غُيِّرَ متقدما لتوقع ما يرد من بعده متأخرا ..."[21] ، فذكر مثال : قلب النون الساكنة ميما لتوقع وجود الباء بعدها ، وهو بهذا يشير إلى إحدى النظريات الصوتية المعاصرة (نظرية الهدف أو التوقع النطقي) التي تقضي بأنَّ "الجهاز العصبي لا يحرِّك أعضاء النطق لإنتاج صوت ما ، ثم إنتاج ما يليه ، وما يليه، باعتبار كلٍّ منهما عملية مستقلة ،ولكنَّه يأخذ الكلَّ النطقي في الاعتبار، ويحدد هدفا مسبقا لحركة كل عضو"[22] .

2– تغير الصفة : وتتنوع صور المضارعة بحسب الصفة التي تتغير في أحد الصوتين و أشهرها:

الترقيق والتفخيم : التفخيم صفة صوتية تنتج من ارتفاع أقصى اللسان و تراجعه نحو الجدار الخلفي للحلق وهناك تلازم بين صفة التفخيم و صفتي الإطباق والاستعلاء.وماعدا أصوات الإطباق والاستعلاء التي تتصف بالتفخيم، هناك ثلاثة أصوات عدت من أصوات التفخيم ؛ وهي اللام والراء والألف.ما يهمنا في هذه الدراسة صوتا اللام والراء.

أما اللام فهي مفخمة من اسم الله تعالى بعد فتحة أو ضمة إجماعا، أو بعد حروف الأطباق، وأما الراء فتفخم إذا كانت مضمومة أو مفتوحة مطلقا في أكثر الروايات و ساكنة في بعض الأحوال، وهذا يعني أن التفخيم في صوتي الراء واللام مشروط بأسباب، وليس صفة أصلية في الصوتين ، مما يمكن القول بعد أن صفة التفخيم فيهما صفة تعاملية مثل (الإهماس) و(الإجهار) أي أن صفية التفخيم فيها مكتسبة.

وفصل علماء التجويد في أحوال أصوات العربية من حيث الترقيق ،و التفخيم، وخاصة أحكام الراء واللام لتعدد أحكامهما .

– الـــــــــــــــــــــراء

يذهب الدكتور جان كانتينو إلى أن الراء المرققة هي راء عادية ، و أما الراء المفخمة فهي فذات نطق خاص فصوتها أقوى من صوت أختها ؛ إذ تنطق كما لو كانت مضاعفة ، و كأنه يجعل الأصل في الراء هو الترقيق [23]

و قد اختلف علماء التجويد في أصل الراء ؛ أهي مرققة فتحتاج إلى تفخيم ، أم هي مفخمة فتحتاج إلى ترقيق ؟ فقال بعضهم أن الأصل فيها هو الترقيق ، وحجتهم أنها لا توجد ضمن أصوات الاستعلاء المجموعة في عبارة (خص

ضغط قظ)، و تفخيمها هو الذي يحتاج إلى سبب ، و قال بعضهم إن الأصل فيها التفخيم – و هو الرأي المشهور و الذي عليه أغلب أهل الأداء كالداني ، و مكي و القرطبي و غيرهم – و حجته أنها ضارعت الأصوات المستعلية لكونها تخرج من طرف اللسان و ما يحاذيه من الحنك الأعلى الذي هو محل خروج أصوات الاستعلاء، و الترقيق فيها يحتاج إلى سبب ، و قيل أيضا ليس للراء أصل من جهة الترقيق و التفخيم ؛ إنما التفخيم يكون مع الضمة و الفتحة ، و الترقيق مع الكسرة ، فإذا سكنت جرت على حكم المجاور لها تفخيما و ترقيقا [24] .

و قد اعتنى النحاة اعتناء كبيرا بضبط الحالات التي تكون فيها الراء مفخمة ، و ذهبوا إلى أن تفخيم الراء يتولد عن الجوار الصوتي ، فهو إذن ظاهرة مقيدة ، و سبب حدوثه الأساسي هو مجاورة الفتحة أو الضمة أو الحروف المستعلية على شرط أن تكون هذه الحروف نفسها (المستعلية) متبوعة يفتحة أو بضمة، وتكون الراء بخلاف ذلك مرققة إذا كانت متبوعة بكسرة أو بالياء نصف الحركة.وإذا كانت الراء متبوعة بحرف مستفل تعلق التفخيم، أو الترقيق بالحركة السابقة. فكان التفخيم إذا كانت هذه الحركة فتحة أو ضمة، وكان الترقيق إذا كانت كسرة.

وإذا كانت الراء متبوعة بحرف مستعل متبوع هو الآخر بكسرة جاز الترقيق و التفخيم إلا أن الترقيق أكثر،

وما ينبغي ملاحظته أن التفخيم ينتج عما يتبع الراء من حروف أكثر مما ينتج عما يسبقها منها ، و أن تفخيم الراء ذو أهمية صوتية صرفة، ولا وظيفة تمييزية له بين المعاني. و الراء ترقق إذا كانت مكسورة، أو ساكنة بعد كسرة، وتفخم فيما سوى ذلك.

الـــــــــــــــــــــــلام :

تعد اللام من الأصوات المرققة بيد أنها تفخم في بعض، المواضع، ويتم تفخيمها عندما ترتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق في أثناء النطق بها كما هو الحال في الأصوات المفخمة ، وورد في الرعاية: " وأكثر ما يقع لفظ اللام مرققا غير مغلظ، لاسيما إذا كان بعدها ألف، لأنها كذلك هي في الحكاية. وقد تأتي اللام مفخمة لقربها من الراء، وذلك أن الراء حرف انحرف عن مخرجه إلى مخرج اللام، فلما استعملت العرب في الراء التفخيم والترقيق فعلت مثله في اللام، والتفخيم في اللام أقل منه في الراء "[25] .

وفرق النحاة أيضا بين اللام المرققة واللام المغلظة، وقد اتفقوا كلهم على أن اللام المضعفة في اسم الجلالة (الله) تنطق مغلظة وجوبا إذا كانت مسبوقة بضمة أو بفتحة، ومرققة وجوبا إذا كانت مسبوقة بكسرة، وعلاوة على ذلك فقد جاء في كتب التجويد بعض القواعد فيما يتعلق بتغليظ" اللام و بترقيقها منها:

– إذا كانت اللام مسبوقة مباشرة بإحدى الحروف المطبقة الأربعة (الصاد، والطاء، والضاد، والظاء) وكانت متبوعة بفتحة أو بضمة لزم التغليظ مثل: فصل، وتطلب، وأظلم..

– إذا كانت بين الصاد والطاء فقط (أي باستثناء الضاد والظاء) وبين اللام فتحة، وكانت اللام متبوعة بفتحة (باستثناء الضمة) جاز التغليظ نحو :صلاة، وطلب ..

– إذا كانت اللام مسبوقة أو متبوعة بكسرة بطل التغليظ .

وإذا وقع بعد اللام – بأي حركة كانت اللام مشددة أو مفخمة – لام أخرى (مفخمة) أو حرف إطباق، وجبت المحافظة على ترقيق اللام الأولى، لئلا تفخم لأجل التفخيم الذي بعدها، ويسارع اللسان إلى ذلك ليعمل عملا واحدا، فلابد من التحفظ بترقيق اللام الأولى، وذلك نحو قوله: "قال الله " و "فضل الله "

3– الإخفاء

يقرن علماء التجويد والقراءات النون الساكنة بالتنوين من جهة الأحكام ، و قد أجمع النحاة والقراء على أن تأثر النون الساكنة ، والتنوين بما يأتي بعدهما من حروف الهجاء ينقسم إلى أربعة أقسام[26]:وهي الإظهار ،و الإدغام ،و الإقلاب، والإخفاء.

الإخفاء : جاء في اللسان[27] :"أخفيت الشيء :سترته وكتمته، وشيء خفي وخافٍ، و يجمع على خفايا ..." هذا في اللغة ، أما في اصطلاح القراء وعلماء الأداء، فقد ورد لفظه عند الداني في "التيسير" بثلاثة[28] معان:

1– الإخفاء مرتبة بين الإظهار و الإدغام ،لقول الداني :"والإخفاء حال بين الإظهار ،والإدغام ، وهو عار من التشديد فاعلمه"

2–ورد لفظ الإخفاء بمعناه اللغوي كما في قول الداني– في معرض حديثه عن أحكام البسملة و الاستعاذة :"روى إسحاق المسيبي عن نافع أنه كان يخفيها [أي الاستعاذة] في جميع القرآن"

3– ورد هذا اللفظ بمعنى الاختلاس، وذلك في قول الداني مثلا:" ورش(لا تُعَدُّوا)بفتح العين ،وتشديد الدال، وقالون بإخفاء حركة العين،و تشديد الدال " أي باختلاس حركتها.

غير أن الوصف الشائع للإخفاء في كتب أحكام التجويد معناه :" نطق النون الساكنة أو التنوين بحيث يكون وسطا بين الإدغام ،والإظهار"[29]،وهو تعريف غامض؛ فإذا كان الإظهار هو نطق النون الساكنة دون أي تغيير في صفاتها ، أو مخرجها ، وأنَّ الإدغام هو تحويل النون إلى صوت مماثل للصوت الذي يليه، فأين الوسط بينهما ؟! ، وكيف يكون الإخفاء – الذي هو عكس معنى الإظهار في اللغة – وسطا بين الإظهار ،والإدغام ؟! هي أسئلة طرحها الدكتور داود عبده[30]،تدلُّ على أن تعريف الإخفاء غير دقيق ،و يفتقر إلى التحديد.

ونحن نتفق معه على أنَّ الإخفاء هو في حقيقته مماثلة جزئية ، وهو بالتحديد مماثلة النون للصوت التالي لها في المخرج ، دون تغير في أي من صفاتها، فعندما يتهيأ المرء لنطق الصوت الذي يلي النون الساكنة ، فإن هذا التهيؤ يتم قُبَيْلَ نطق تلك النون، فتخرج من مخرج الصوت التالي لها بدلا من مخرجها الأصلي، ويحدث هذا عند نطق النون متلوَّة بأي صوت آخر باستثناء الأصوات الحلقية (لبعد مخرج الأصوات الحلقية عن مخرج النون)، ويقترح الدكتور داود عبده تجربة ليوضح رأيه في قوله:" حاول أن تلفظ الكلمات الآتية [أنبت ،أنفع ،أنذر ،أنشأ، أنخل أنكر ،أنقى] لفظا طبيعيا دون تكلف ،ثم توقف فجأة قبل لفظ الصوت الذي يلي النون تجد أنك تلفظ النون من مخرج ذلك الصوت"[31]،فالنون تتحول إلى ميم في (أنبت)، أي من مخرج الباء، ومن مخرج الفاء في أنفع (الشفة السفلى مع الأسنان العليا)، ومن مخرج الذال في أنذر(بين الأسنان)،ومن مخرج الخاء والكاف في أنخل ،و أنكر(الطبق ؛أي أقصى الحنك).

وليس الإخفاء –وهو مماثلة في المخرج – مقصورا على اللغة العربية، فهو مماثلة طبيعية في اللغات. وجدير بالذكر أن هذا النوع من المماثلة قد نشأ منه في الإنجليزية صوت أنفي مستقل هو النون الطبقية، ولها في الكتابة الصوتية رمز خاص .

والإخفاء حسب قواعد التجويد يجب أن يكون مصحوبا بغنة و يكون لصوتين،هما النون الساكنة ،والميم الساكنة، وذلك بحسب ما يأتي بعدها من الحروف .

فإخفاء النون الساكنة و التنوين – باعتبارها من الأصوات الذلقية – يكون إذا جاء بعدهما خمسة عشر حرفا، وقد جمعت في أوائل كلمات البيت الآتي:

صف ذا ثناكم جاد شخص قد سما دم طيبا زد في تقى ضع ظالما

فالنون المخفاة هي غنة خالصة ، بمعنى أنها صدى يحدث في تجاويف الأنف[32]، فإذا نطق الإنسان بمثل:عنك،و منك بإخفاء النون أشرب الفتحة في "عنك" والكسرة في "منك"غنة النون المخفاة .

وكان الداني(444هـ) قد اثبت التفاوت في إخفاء النون عند الحروف الخمسة عشر، بحسب قرب الحرف من النون و بعده عنه[33].فإخفاؤها عند الطاء أو الدال مثلا ، أقوى منه عند القاف أو الكاف، ذلك أن الطاء أو الدال أقرب مخرجا إلى النون من القاف أو الكاف .

ثانيـــــــــــــــــا : (المماثلة الكلية) الإدغام

هو أقصى درجات التأثر ، والمماثلة الصوتية ؛ حيث أن الصوت الأول يفنى في الصوت الثاني [34]، فإذا كانت المضارعة تؤدي إلى تقريب صوت من صوت ، فإن الإدغام يؤدي إلى قلب الصوت إلى مثل نظيره، ونطقهما نطقا واحدا.

والإدغام في لغة العرب يراد به الإدخال ،يقال:"أدغمت الفرس اللجام ، أي أدخلته في فمه"[35]، و في اصطلاح اللغويين يراد به " أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة"[36].

ولا تخرج تعريفات علماء العربية ، والتجويد للإدغام عن هذا المعنى، وأصل ذلك كله وارد في كلام سيبويه،يمكن أن نستخلصه بقولنا أن الإدغام هو أن يلتقي حرفان متماثلان ، أو متقاربان ، من كلمة ، أو من كلمتين ، والأول منهما ساكن ، أو متحرك فيسكَّن ، وينطق بهما برفعة واحدة ، بعد قلب الأول من جنس الثاني إذا لم يكونا متماثلين ، وذلك لأن النطق بالصوت الأول ، ثم العودة إلى الموضع نفسه لنطق الصوت الثاني فيه مشقة ، فيلجأ المتكلم إلى التخفيف من تلك المشقة بالإدغام[37] .

و الأصل في الإدغام أن يكون الأول ساكنا؛ لأن الصوت الأول متى تحرك امتنع الإدغام ، لأن الحركة قد فصلت بين الصوتين، فتعذرا لاتصال، فإذا ما أريد الإدغام في هذه الحالة، فإنه يجب أن يسكن المتحرك الأول ؛لتزول الحركة الحاجزة بين الصوتين[38]. ويسمى الإدغام إذا كان الصوت الأول متحركا الإدغام الكبير،واشتهر به من

القراء أبو عمرو بن العلاء، وهو منقول عن العرب أيضا[39]، كما أن الأصل في الإدغام أن يدغم الأول في الآخر[40]، وجاءت كلمات معدودة أدغم فيها الثاني في الأول، في باب افتعل،في مثل :مظَّلم- مظطلم ، ضف إلى ذلك أن أصل الإدغام أن يدغم الأضعف في الأقوى، وقد فصل علماء التجويد[41] في تقسيم الأصوات إلى قوية، وضعيفة بحسب الصفات، وفي رأيهم يكون إدغام المتقاربين حسنا جيدا إذا كان الحرف الأول أضعف من الثاني، كإدغام التاء في الطاء[42](قالت طائفة)– **آل عمران 72**، ويكون حسنا إذا كان الحرفان المتقاربان في القوة سواء، كالمثلين، كإدغام الذال في التاء (أخذتم)- **آل عمران:81** ، ويكون ضعيفا قليلا إذا كان الحرف الأول أقوى من الثاني، كإدغام الراء في اللام ، و أصل الإدغام أيضا أن يكون في حروف الفم ،و اللسان ، وليس حروف الحلق والشفتين بأصل للإدغام[43]، وهذا يفسر شيوع الإدغام بين أصوات مخارج طرف اللسان ، وقلته في أصوات مخارج الحلق ، والشفتين . فالأصوات الذلقية من الأصوات التي يشيع فيها الإدغام .

و يمكن تقسيم إدغام الأصوات العربية إلى أنواع أخرى باعتبارات معينة منها:

أ- ينقسم الإدغام بحسب نوع العلاقة بين الصوتين إلى ثلاثة أقسام[44]:

* الأول: إدغام المتماثلين : وهو أن يتحد الصوتان مخرجا وصفة ، كالباءين.

* الثاني: إدغام المتجانسين : وهو أن يتفق الصوتان مخرجا ، ويختلفا صفة ، كالتاء مع الطاء.، واللام والراء عند الفراء ومن تابعه .

* الثالث: إدغام المتقاربين : وهو أن يتقارب الحرفان مخرجا أو صفة .كالدال والسين ،و التاء والثاء .

وكان المتقدمون من علماء العربية والتجويد يستخدمون مصطلح المتماثلين، والمتقاربين، ولم يرد عندهم مصطلح المتجانسين، لكن هذا المصطلح أخذ مكانه في الدراسات الصوتية العربية[45] .

ب- ينقسم الإدغام إلى : كامل، وهو ما يتحول فيه الصوت الأول إلى مثل الصوت الثاني، وناقص ،وهو ما يبقى من صفات الصوت الأول شيء.

والإدغام الناقص يختلف عن المضارعة، فهو وإن كان من جنس المماثلة الجزئية، إلا أنه ينطبق عليه تعريف الإدغام المتضمن وصل صوت ساكن بصوت متحرك، وارتفاع آلة النطق بهما ارتفاعة واحدة ، لكن تبقى من الصوت الأول بعض صفاته[46].

يقول محمد المرعشي مفصِّلا : " ثم إن الإدغام ينقسم إلى تام ، وناقص؛ لأن الحرف الأول إن أدرج في الثاني ذاتا وصفة بأن كانا مثلين ،أو متقاربين ، لكن انقلب ذات الأول إلى ذات الثاني ،و صفته إلى صفته، فالإدغام حينئذ تام ، مثل إدغام (مَدَّ)، وإدغام الذال في الظاء نحو(إذ ظلموا). وإن أدرج الحرف الأول في الثاني ذاتا لا صفة بأن كانا متقاربين فانقلب ذات الحرف الأول إلى ذات الحرف الثاني ، ولم تنقلب صفته إلى صفته بل بقي في التلفظ، فالإدغام حينئذ ناقص.

والصفة الباقية من الحرف الأول : إماَّ غنة ، وهي في إدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء، وإمَّا إطباق، وهو في إدغام الطاء المهملة في التاء المثناة الفوقية، نحو(أَحَطْتُ)، وإما استعلاء، وهو في إدغام القاف في الكاف في (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ)..."[47].

ج- ينقسم الإدغام إلى واجب ،وجائز، وممتنع[48] .للاعتبارات الآتية:

* يغلب عليه الوجوب إذا كان بين المتماثلين،و يغلب عليه الجواز إذا كان بين المتقاربين.

*يمتنع في إدغام القوي في الضعيف .

*يمتنع الإدغام إذا أدَّى إلى حصول اللبس مع وزن آخر في كلمة أو كلمتين.

*ما كان في كلمة واحدة ،كان إلى الوجوب أقرب، وما كان من كلمتين فإنه يغلب عليه الجواز.

الإدغام (المماثلة الكلية) في الأصوات الذلقية :

أ : صـــــــــوت اللام

اللام الساكنة : عندما تكون اللام ساكنة (الإدغام الصغير عند القراء) تدغم في ثلاثة مواطن: لام(ال) التعريف- لام الحرف- لام الفعل .

1- لام التعريف: وهي لام (ال) الداخلة على الأسماء النكرة لتعريفها، تقع قبل أي حرف من حروف الهجاء، إلا حروف المد الثلاثة الساكنة (ا،و،ي).

لام التعريف تدغم فيما قَرُبَ إليها من الأصوات ، وهي أصوات طرف اللسان، وتظهر عند بقية الأصوات لبعدها عنها[49] . وهي تدغم في ثلاثة عشر حرفا ، وهي أوائل هذا البيت:

طِبْ ثم صِلْ رحِمًا تَفُزْ ضِفْ ذا نَعَم دَعْ سوءَ ظَن زُرْ شَريفًا للكَرَم

وإنما أدغمت في هذه الحروف وجوبا لكثرة لام المعرفة في الكلام ، وفرط موافقتها لهذه الحروف ، لأن جميعها من طرف اللسان كاللام،إلا الضاد ،و الشين، وهما يخالطان حروف طرف اللسان أيضا. أما الضاد فإنها استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام ، وكذلك الشين[50]. ويسمى هذا الإدغام بالإدغام الشمسي ، ويتحقق بدمج هذه اللام بالحرف الذي يليها، فيصيران حرفا واحدا مشددا ، وهو الحرف الذي بعدها ، بحيث لا يظهر أي أثر لهذه اللام .

2- لام الحرف : وهي اللام التي تقع جزءا من بنية الحرف(المقصود هنا حروف المعاني)، ، وهي في حرفين لا ثالث لهما: هل ، و بل " تدغم فيما بعدها باتفاق إذا وقع بعدها أحد الحرفين اللام والراء" ؛ تدغم في اللام للمماثلة، كما في قوله(..فهل لنا من شفعاء)[51] عليه ،وتدغم في الراء لشدة القرب.

و للام الساكنة -في نحو هل، و بل- في إدغامها فيما قرب منها أقسام[52] منها:

أ- أن يكون الإدغام أحسن من الإظهار، وذلك مع الراء نحو: (هرأيت) لأنها أقرب الحروف إلى اللام ، وأشبهها بها ، فضارعتا الحرفين الذين يكونان من مخرج واحد ، إذ كانت اللام ليس حرف أشبه بها منها ولا أقرب.ورد عند

سيبويه:تدغم اللام في الراء لقرب المخرجين ،و لأن فيها انحرافا نحو اللام قليلا،و قاربتها في طرف اللسان ،و هما في الشدة وجريان الصوت سواء، وليس بين مخرجيهما مخرج، والإدغام أحسن [53]

وإن لم تدغم ،و قلت (هل رأيت)، فهي لغة لأهل الحجاز، وهي عربية جائزة.

ب- يلي القسم الأول في الحسن: إدغام اللام الساكنة في الطاء، والدال، والتاء،و الصاد، والزاي، والسين، وذلك لأنهن تراخين عن اللام إلى الثنايا، وليس فيهن انحراف نحو اللام ،كما كان في الراء، ووجه جواز الإدغام فيها أن آخر مخرج للام قريب من مخرجها، واللام معها من حروف طرف اللسان.

ج- في المرتبة الثالثة من الحسن: إدغامها في الظاء، والثاء ، والذال،لأنهن من أطراف الثنايا، وقاربن مخرج الفاء.

وإنما كان الإدغام مع حروف القسم الثاني أقوى منه مع هذه الثلاثة ؛ لأن اللام لم تنزل إلى أطراف الثنايا ،كما لم تنزل الطاء وأخواتها إليها بخلاف الثلاثة .

د- بعد الأقسام الثلاثة في الحسن: إدغام اللام الساكنة في الضاد ،و الشين؛ لأنهما ليسا من طرف اللسان كالمذكورة ، لكنه جاز الإدغام فيهما لاتصال مخرجهما بطرف اللسان .

ملاحظة :* إدغام اللام الساكنة في النون أقبح من جميع ما مر ، وعلل ذلك سيبويه بقوله: "لأن النون تدغم في الواو والياء والراء والميم كما تدغم في اللام[يرملون]،فكما لا تدغم هذه الحروف في النون كان ينبغي ألا تدغم اللام فيها أيضا"[54]

* لم يختلف القراء في (بل رفعه الله إليه) – النساء 158، على أنه مدغم (إدغام اللام في الراء)، واختلفوا في لام (بل ران) المطففين : 14، فالإمام نافع روي عنه الإدغام وغير الإدغام ، وابن كثير كان يدغم[55] ،وعاصم أدغم في رواية أبي بكر، وقال حفص عن عاصم (بل(س)ران) يقف على اللام وقفة خفيفة[56] .

* حجة من أدغم لام (هل وبل) في التاء،والزاي، والطاء ،والضاد،والظاء،والسين ،و النون–من القراء–أن هذين الحرفين (هل وبل) لـمَّا لزم لامهما السكون أشبهتا لام التعريف، فجاز إدغامها في هذه الأصوات التي قد أدغمت فيها لام التعريف،ألا ترى أنه لم تدغم لام (قل) لأن سكونها غير لازم.

وأما من لم يدغم من القرّاء،و آثر الإظهار،فحجته أنّ لام (هل وبل) منفصلتان عن الكلمة التي بعدهما ، ففارقتا لام التعريف المتصلة بما بعدهما ، والانفصال أبدا يقوى معه الإظهار.وأما من أظهر عند البعض،وأدغم عند البعض الآخر ،فإنه قد جمع بين اللغتين[57].

3- لام الفعل : و المراد هنا اللام الساكنة التي هي من بناء الفعل ، وسكنت لأداء وظيفة صوتية ، أو صرفية ،أو نحوية قل– قال ،فالتقى – لقي . فاللام في هذه الحالة لها حكمان :الإدغام ،والإظهار، وذلك بحسب ما يأتي بعدها من حروف الهجاء.

1- الإدغام (التماثل الكلي): إذا جاء بعدها اللام أو الراء، ولا يكون ذلك إلا إذا كان الفعل أمرا، و إدغامها في اللام يكون من قبيل التماثل، مثل:"قل لن ينفعكم الفرار" – الأحزاب : 16، أمَّا إدغامها في الراء فمن قبيل التقارب ، مثل :"وقل ربِّ أدخلني مدخل صدق." **الإسراء 87** .

2- الإظهار:و هو الأصل ، والأكثر وقوعا، و يكون مع باقي الحروف الهجائية الأخرى .

ملاحظة : اللام الساكنة في الفعل تظهر مع النون (قلْ نعم)،في حين تدغم في مثل (النَّاس)، وهناك من أرجع السبب إلى أن الفعل(قل) معتل بحذف عينه، فإذا حذفنا لامه أيضا (الإدغام)صار في الكلمة إجحاف أما أداة التعريف(ال)في "الناس" فلم يحذف منه شيء.وقد تتوفر نفس الأسباب التي منعت الإدغام في "قل نعم"، ومع ذلك تدغم لام الفعل في الراء، في مثل(قل رب)، فقد أجاب ابن الجزري بقوله: " لأن الراء حرف مكرر،منحرف، فيه شدة ،و ثقل يضارع حروف الاستعلاء بتفخيمه، واللام ليس كذلك، فجذب اللام جذب القوي للضعيف، ثم أدغم الضعيف في القوي على الأصل ..."[58]

اللام المتحركة (الإدغام الكبير عند القراء) :

اللام المتحركة أدغمها أبو عمرو في الراء، إذا تحرك ما قبلها أيضا نحو {...**سُبُلَ رَبِّك**...}- **النحل**:**69** ،فإن سكن لم يدغمها كما في قوله تعالى: (فيقول رب) – **المنافقون** : **10** . واستثنى الساكن الألف كما في قوله (قال رب)- **ص**:**35**؛ فإنه أدغمه نصا وأداء لقوة مدة الألف[59]

ب: صـــــــوت الـــــــــــــــــراء

الراء من الحروف التي قيل عنها أنها لا تدغم في المقاربة ، وتدغم المقاربة فيها ، وهذه الحروف جمعها النحاة في (ضوي مشفر) ، فهي لا تدغم فيما ليس فيه صفة المدغم ، أما الحروف المقاربة فيمكن أن تدغم فيها[60].

وفضيلة الراء التكرار، وأيضا لو أدغم لكان كمضعف أدغم في غيره نحو ردد، فاللام والنون قد يدغمان في الراء لأنك لا تخل بهما كما كنت مخلا بها لو أدغمتها فيهما ، ولتقاربهن ، مثل:(هرأيت) و (مرأيت)[61] .

إذن ما قرره النحاة هو أن الراء لا تدغم في اللام ولا في النون ؛ لأنها مكررة،وهي تتفشى إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم فيما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يتكرر[62]

الراء قلَّ إدغامه في القراءات القرآنية ، فلم يدغم إلا مع اللام ، خوفا على فقدانه لصفة التكرار التي تميزه فالأصل في الإدغام أن يدغم الأضعف في الأقوى، و الذي يقبح الإدغام فيه لقوة الأول، وضعف الثاني : إدغام الراء في اللام، وهو قبيح لقوة الراء بالجهر والتكرير الذين فيه، وضعف اللام لعدم التكرير فيه، وضعف الجهر فيه، فإذا أدغمت نقلت الأقوى إلى الأضعف، وذلك مكروه ضعيف[63].

و إدغام الراء في اللام : منعه البصريون وأجازه الكوفيون[64] مع أنّ أبا عمرو بن العلاء رأس المدرسة البصرية هو الذي روي عنه الإدغام في ذلك .

والمعروف عن ابن مجاهد (324هـ) أنه كان يشكل مذهبا وسطا بين علم البصريين والكوفيين فهو من جهة امتداد لمذهب الفراء الصوتي ، ومن جهة أخرى مذهب هضم كلام سيبويه، واستعمل تعليلاته الصوتية .

ومن أمثلة متابعته لمذهب الخليل وسيبويه أنه رجع- اختيارا واستحسانا- عن إدغام الراء في اللام إلى الإظهار قبل موته بست سنين[65].

وجاء على غير القياس ما روي عن أبي عمرو من إدغام الراء في اللام في قوله تعالى:(يغفرْ لكم) – الصف : 12 ، وغيرها هذا في الإدغام الصغير.

وجاء من الإدغام الكبير ما رواه ابن مجاهد عن أبي عمرو أنه كان يدغم الراء في اللام إذا تحرك ما قبلها نحو قوله تعالى{**سخَّرَ لنا**} – **الزخرف** : **13** ، وما شابهها . فإن سكن ما قبلها أدغمها في اللام في موضع الرفع والخفض نحو {**المصيرُ–لا يُكلّف**} - **البقرة 285و286** ،و{..**كتابَ الفجار لفي**} – **المطففين** : **07** . ولا يدغم إذا كانت الراء مفتوحة نحو{...**و الحميرَ والبغالَ لتركبوها**..} – النحل : 08 . وكان هذا الإدغام مخالفا للقياس لذهابه بتكرير الراء، وهناك من يرى أن له وجها من القياس" وهو أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما ، ولفظ اللام أسهل من الراء لعدم التكرار فيها ، وإذا لم تدغم الراء كان في ذلك ثقل؛ لأن الراء فيها تكرار فكأنها راءان واللام قريبة من الراء فتصير كأنك قد أتيت بثلاثة أحرف من جنس واحد"[66].

وقد خطأ الزمخشري إدغام الراء في اللام ، وعد راويه لاحنا فاحشا ، ونفى نسبته لأبي عمرو في قوله:" ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا ، راويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين ، لأنه يلحن ،و ينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم ، والسبب في هذه الروايات قلة ضبط الرواة ، وسبب قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو "[67].

وقد رد عليه السمين الحلبي بقوله :"وهذا من أبي القاسم غير مرض ، إذ القراء معنيون بهذا الشأن ؛ لأنهم تلقوا عن شيوخهم الحرف بعد الحرف ، فكيف يقل ضبطهم ؟، وهو أمر يدرك بالحس السمعي ،... وكيف يقال : إن الراوي ذلك عن أبي عمرو مخطئ مرتين، جملة رواته اليزيدي إمام النحو واللغة ، وكان ينازع الكسائي رئاسته، ومحله مشهور بين أهل الشأن "[68]

ويبرر الد.إبراهيم أنيس إدغام الراء في اللام بقرب المخرج مع الاتحاد في الصفة ؛ لأن كلا منهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ، ولا يكاد يسمع للراء حفيف مثلها في ذلك مثل أشباه أصوات اللين التي منها اللام .هذا إلى أن الراء في نظر المحدثين من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ، فهي لهذا تشبه اللام والنون والميم التي تعتبر حلقة وسطى بين أصوات اللين والأصوات الساكنة ، وكل الذي يتطلبه إدغام الراء في اللام هو ترك التكرار الذي تختص به الراء"[69].

وقد أجاز إدغام الراء في اللام الفراء ،و الكسائي ، والرؤاسي ، ويعقوب الحضرمي ،ورأس البصريين أبو عمرو وهو الصواب ، فالقراءة تكون صحيحة إذا كان لها وجه من القياس ،وقد تدغم لأن لها وجها من القياس، وأن القوانين الصوتية تبرر هذا الإدغام ، والحق أنه إذا صحت الرواية فاء إليها القياس[70].

ج: صـــــــــوت الـــــــــنون

النون الساكنة :

للنون الساكنة ،و التنوين(في الرفع، والنصب ،و الجر) أربعة أحكام، من بينها الإدغام، وينقسم هذا الإدغام إلى قسمين :إدغام بغنة ، وهو الإدغام الناقص، وإدغام بغير غنة ،وهو الإدغام الكامل. والنون الساكنة تدغم

في أحرف ستة هي المجموعة في كلمة "يرملون"، وذلك لأجل القرب المخرجي[71]، ولا يكون الإدغام إلا منفصلا أي إذا كانت النون الساكنة آخر الكلمة الأولى، وأحرف الإدغام أول الكلمة الموالية ،و يمتنع الإدغام في حال الاتصال،مثل"صنوان" و"قنوان"لاشتباهه بالمضعف حالة الإدغام .

أ– الإدغام بغنة(الناقص)

والإدغام الناقص يختلف عن المضارعة (التقريب)، فهو وإن كان من جنس المماثلة الجزئية، إلَّا أنه ينطبق عليه تعريف الإدغام المتضمن وصل صوت ساكن بصوت متحرك، وارتفاع آلة النطق بهما ارتفاعة واحدة ، لكن تبقى من الصوت الأول بعض صفاته.

يقول محمد المرعشي مفصِّلا : " ثم إن الإدغام ينقسم إلى تام ، وناقص؛ لأن الحرف الأول إن أدرج في الثاني ذاتا ، وصفة بأن كانا مثلين ،أو متقاربين ، لكن انقلب ذات الأول إلى ذات الثاني ،و صفته إلى صفته، فالإدغام حينئذ تام ، مثل إدغام (مَدَّ)، وإدغام الذال في الظاء نحو(إذ ظلموا). وإن أدرج الحرف الأول في الثاني ذاتا لا صفة بأن كانا متقاربين فانقلب ذات الحرف الأول إلى ذات الحرف الثاني ، ولم تنقلب صفته إلى صفته بل بقي في التلفظ، فالإدغام حينئذ ناقص. والصفة الباقية من الحرف الأول : إمأَّ غنة ، وهي في إدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء، وإمَّا إطباق، وهو في إدغام الطاء المهملة في التاء المثناة الفوقية، نحو(أَحَطْتُّ)، وإما استعلاء، وهو في إدغام القاف في الكاف في {**أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ**}..."[72]

إذن الإدغام الناقص في النون الساكنة سمي كذلك :"لذهاب الحرف ، وهو النون أو التنوين، وبقاء الصفة وهي الغنة"[73]، وإدغام النون بغنة يكون مع أحد الأصوات التالية:ي،و،م،ن، المجموعة في كلمة (يومن)، فيكون إدغام التماثل مع النون ، وإدغام التقارب مع باقي أصوات هذه المجموعة.

يقول ابن يعيش متحدثا عن إدغام النون الساكنة في هذه الحروف:"و إدغامها في الميم نحو من محمد، وممن أنت ، وذلك وأن الميم ، وإذا كان مخرجها من الشفة فإنها تشارك النون في الخياشيم لما فيها من الغنة ، والغنة تسمع كالميم...وأما إدغامها في الياء والواو في نحو: من يأتيك، ومن وال؛ فذلك من قبل أن النون بمنزلة حروف المد نحو الواو والياء لأن فيها غنة–كما أن فيهما لينا، ولأن النون من مخرج الراء ، والراء قريبة من الياء، ولذلك تصير الراء ياء في اللثغة ، وهي تدغم بغنة ،وبغير غنة .فإذا أدغمت بغير غنة ؛ فلأنها إذا أدغمت في هذه الحروف صارت من جنسها ، فتصير مع الراء راء ،ومع اللام لاما ، ومع الياء ياء، ومع الواو واوا، وهذه الحروف ليست لها غنة، أما إذا أدغمت بغنة فلأن النون لها غنة في نفسها ، والغنة صوت من الخيشوم يتبع الحروف ، وإذا كان للنون قبل الإدغام فلا يبطلونها بالإدغام حتى لا يكون أثر في صوتها "[74]

فإذا كان تفسير عمليات إدغام "النون" في "النون"، و "النون" في "الميم" بغنة واضحا، إذ لم يكن بد من بقاء لفظ الغنة ظاهرا حال الإدغام لما ذكرنا من أن الحرفين معا تلزمهما "الغنة"على كل حال، فإن مسألة تحقيق الإدغام في سياق مجاورة "النون"الياء" أو "الواو" مجاورة قبلية بالشكل الذي عولجت به في الدراسات العربية القديمة، تثير عددا من الأسئلة الفونيتيقية و الفونولوجية .

فونيتيقيا، يعتبر التبرير الذي قدمه العلماء العرب القدماء بشأن ارتباط "النون" في "الياء" و"الواو " بغنة بواقع اشتباه المد واللين فيهما، بالغنة التي في النون غير دقيق، بل وغير مقنع بالمرة خصوصا إذا كنا ندرك بوضوح التمايز الكبير الحاصل بين صوت المد واللين المنطوق عبر التجويف الفموي، وصوت الغنة المنطوق عبر التجويف الأنفي وأن "الياء" و"الواو " الواقعين في سياق الإدغام هنا، هما "الياء" و"الواو "غير المديين، وإلا لما جاز الإدغام فيهما لأن الحرف المدغم فيه لا يكون إلا متحركا .

وفونولوجيا يقدم هذا النوع من الإدغام عددا من الخروقات التي تمس تطبيق العمليات الفونولوجية المنظمة لخطوات الإدغام الإجرائية، حيث تتحدد – بشكل واضح عدم إجرائية عملية "إدخال "أو "إفناء "الصامت الأول في الثاني المجاور له بشكل كلي (بعد عملية المماثلة التامة بينهما)، عندما لا تطبق هذه العملية على "الغنة" في النون فتنطق في لفظ الصامت الثاني المدغم فيه .

وقد حاول الد، مصطفى بوعناني احتواء هذه التساؤلات وتفسيرها من منظور فونولوجي جديد، وهو يرى أن هذا اللبس راجع في الحقيقة إلى الوصف الفونيتيقي للقدماء للنون حين فصلوا بين النون والغنة من حيث المخرج فجعلوا الأولى من طرف اللسان، والثانية من الخيشوم، وفي تصوره الجديد يذهب إلى اعتبار النون قطعة مركبة من نطق أولي (الطرفي) وأخر ثانوي هو النطق الأنفي. ففسر إدغام النون في الياء – اعتمادا على الملامح التمييزية –لأن النون: [+أنفي /+ مقدم)، والياء[– مقدم) وكلاهما طرفي (طرف اللسان) فقد أدى امتداد الملمح الختامي(– مقدم) إلى النون إلى تماثل التطقين الأولين في النون والياء، فأقصي النطق الأولي للنون دون نطقها الثانوي ليؤلف مع الكيان النطقي للصوت الثاني (الياء) الخصوصية الفونينيقية الجديدة (الإدغام بغنة) .

وكذلك فسر إدغام النون في الواو بامتداد الفصيلة الملمحية: "شفوي" من الواو إلى النون الذي أدى إلى فقدان النون نطقها الطرفي لصالح النطق الشفوي للواو الشيء الذي خلق من تماثل القطعتين المتجاورتين" النون " و"الواو" في مستوى نطقيهما الأولي سياقا ملائما لتطبيق مبدأ حظر تجاور المثلين المطلقين ، فأقصى النطق الأولي للنون دون نطقها الثانوي ليؤلف مع الكيان الصوتي للقطعة الثانية " الواو " الخصوصية الفونيتيقية .

وفي الإدغام بغنة تبقى خاصية الغنة ، أما موقع اللسان في الفم فإنه يكون في موقع الصوت الذي يليه[75]، مثل: " من وراء" و" من يعمل"حيث تنطقان : /م–ِ و(غ) و–َر–َّء–َ/ و/م–َي(غ)ي–َ ع م–َل/، على التوالي ، ولايكون هذا الإدغام إلا بين الكلمات ، أما إذا تسلسلت هذه الحروف في كلمة واحدة فإنه لا يكون إدغاما كما في " دنيا" و" عنوان" فإنهما تنطقان :/د–ُ ن ي–َّ/و/ع–ُ ن و–َّن/ على التوالي.

ومن أمثلته مع الميم و النون:من ماء،و تلفظ (مِمّاَء) مع الغنة، من نصيب، و تلفظ (مِنَّصيب) مع الغنة...

و قد اختلف في هذه الغنة هل هي للصوت المدغم أو المدغم فيه ، و تعرض ابن الجزري لهذه المسألة في قوله : " اختلف أهل الأداء في الغنة التي تظهر مع إدغام التنوين والنون في الميم هل هي غنتها أو غنته؟ فذهب ابن كيسان ومرافقوه إلى أنها غنة النون، وذهب الداني وغيره إلى أنها غنة الميم، وبه أقول؛ لأن النون قد زال لفظها بالقلب

وصار مخرجها من مخرج الميم، فالغنة له .[76] والرأي الذي مال إليه ابن الجزري هو الذي تؤيده الدراسة الحديثة للأصوات ذلك أن النون صارت ميما بانتقال مخرجها إلى الشفتين، فلم يعد لها وجود، والغنة للميم المشددة .

ب – الإدغام بغير غنة (الإدغام الكامل) :

وهو ما يتحول فيه الصوت الأول إلى مثل الصوت الثاني.و يسمى هذا الإدغام إدغاما كاملا، لذهاب الحرف (النون أو التنوين) والصفة (الغنة) معا[77]. ويكون مع أحد الصوتين التاليين :ل ،ر ، فتدغم النون الساكنة أو التنوين في اللام الراء "حتى تصيرا في اللفظ لاما تامة، أو راء تامة ، ووجب حذف الغنة مع اللام والراء للمبالغة في التخفيف"[78].وهذا الإدغام من قبيل التجانس ،يقول ابن يعيش:"و إدغامها(النون الساكنة)في الراء واللام أحسن من البيان لفرط الجوار، وذلك نحو:من لك، ومن راشد، والبيان جائز"[79].

ففي الإدغام الكامل تتحول النون إلى الصوت الذي يليها كما في : " من رأى "و"ومن له" حيث تنطقان :مَ- ر رَ ءَ ىَ / و /مَ ل ل-ىَ هـ-ُ/.

ملاحظة :

إن مبدأ العرب القدامى في الإدغام هو رفض إدغام الأزيد صوتا في الأنقص، من ذلك رفضهم إدغام الميم (بما فيه من غنة) في الباء الأنقص صوتا، وعللوا ذلك بكراهية الإضعاف الذي ينقل الأصل إلى الفرع ؛ لكن السؤال الهام هنا، هو لماذا تدغم النون – بما فيها من زيادة صوت الغنة – في حروف من مثل: الواو، والياء، ثم اللام، والراء بغنة، و بدون غنة " ؟

حاول مصطفى بوعناني[80] تبرير ذلك – اعتمادا على طبيعة التصورات الفونيتيقية التي يمتلكها العلماء العرب حول هذه الحروف: ف "الواو"، و"الياء"، و"الراء" في اعتبارهم، تدخل ضمن الحروف التي فيها زيادة صوت: المد و اللين في الحرفين الأولين، والتكرار في الراء.

أما عن إدغام النون في اللام في مثل: "من لدنا"، قال ابن الجزري: "وأما النون فهو أضعف من اللام بالغنة والأصل ألا يدغم الأقوى في الأضعف؛ ألا ترى أن اللام إذا سكنت كان إدغامها في الراء إجماعا، ولا كذلك العكس، وكذلك إذا سكنت النون كان إدغامها في اللام إجماعا، ولا كذلك العكس".

وهناك من علل بإبدال النون لاما ، وعدم حدوث العكس في (ألاّ: وهي مكونة من أن الناصبة ولا النافية، أو أن المفسرة ولا النافية ، أو أن المخففة من الثقيلة و لا الناهية في سببين :

أ- النون من الأصوات الأنفية، بينما اللام صوت جانبي، فهو أكثر وضوحا من صاحبه؛ لأنه يخرج من الفم، في حين يخرج النون من الأنف، فتجويف الفم أكبر وأقوى من الأنف مما يعطي اللام قوة ووضوحا أكثر من الوضوح في صوت التون، والذي دعم اللام وجعلها أقوى أنها محركة ، بينما النون ساكنة .

ب- الأمن اللبس، فلو أبدلت اللام نونا لأصبحت (آنا)، وستلتبس " أن" المتصلة بـــ"نا" المتكلمين ، التي حذف منها النون لتوالي الأمثال .

النون المتحركة

إدغام النون في اللام، : كان أبو عمرو بن العلاء"يدغم النون في اللام إذا تحرك ما قبلها "[81]، مثل (لن نؤمن لك)، فمن شروط إدغام النون في اللام أن يكون ما قبلها متحركا بضم أو فتح أو كسر .

هوامش البحث:

[1]– ينظر رمضان عبد التواب ،التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه،ص:14؟

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص نفسها.

[3]–ينظر محمد المبارك،فقه اللغة وخصائص العربية،ص:64 و 65 .

[4]–ينظر رمضان عبد التواب ،التطور اللغويمظاهره وعلله وقوانينه،ص:22 ؟؟

[5]–ستيفن أولمان،دور الكلمة في اللغة العربية،ترجمة كمال محمد بشر،القاهرة،1962،ص:187و188 .

[6]–ينظرإبراهيم أنيس،الأصوات اللغوية،ص: 178 .

[7]– ينظر سيبويه ، الكتاب :، ج4، ص: 477

[8]– ينظر ابن جني ، الخصائص:ج1، ص: 495

[9]– ينظر ابن يعيش، شرح المفصل:ج10، ص: 49

[10]– ينظر الإستربادي، شرح شافية ابن الحاجب : ج3، ص: 199

ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية،ص:187 و أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي، ص:379 وإبراهيم النجا، التجويد والأصوات، ص:98

[11] – اللغوي، ص:379

[12]–ابن منظور، اللسان: ج4، ص: 2580، مادة (ضرع)

[13]–ينظر سيبويه ، الكتاب:ج4/477و478

[14]–ابن جني ،الخصائص:ج2/141 و143

[15]–المرجع نفسه، والصفحة نفسها .

[16]– ينظر عبد الغفار حامد هلال،النظريات النسقية في أبنية العربية ،ص:281

[17] – محمد صالح الضالع ، التجويد القرآني – دراسة فيزيائية ، ص: 80 .

[18]– ينظر ابن جني ، سرالصناعة ، ج2، ص: 96 .

[19]–إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص: 186

[20]–ابن جني ،سر الصناعة ، ج2، ص: 96

[21]–ابن جني ، الخصائص :2/324و325

[22]– ينظر عبد الرحمان أيوب ، الكلام إنتاجه وتحليله ، مطبوعات الجامعة ، ط1، الكويت ، 1404هـ/1984م، ص:195

[23] – ينظر جان كانتينو ، دروس في علم الأصوات العربية ، ص: 75 و 76 .

ينظر أبا بكر حسيني ، المصطلحات الصوتية في مصادر القراءات– دراسة في كتاب التيسيرفي القراءات السبع للداني ، مكتبة الآداب ، ط1، القاهرة ، 1429هـ/2008م، ص: 109 .

[24] –

[25] – مكي القيسي، الرعاية ، ص: 188 .

[26]– أورد الداني في كتابه "التحديد" مذهبين لأحكام النون الساكنة والتنوين : مذهب سيبويه الذي يجعل الأحكام أربعة: إظهار، وإدغام بغنة وبلا غنة، وقلب ،و إخفاء، وهو المذهب الذي سار عليه أكثر النحويين والقراء، ومذهب الفراء الذي يجعل الأحكام ثلاثة: إظهار ، وإدغام محض، و إخفاء، ويشمل الإدغام بغنة وإخفاء النون و قلب النون ميما، وهو المذهب الذي سار عليه الكوفيون وابن مجاهد و أصحابه من القراء ينظر عبد الله أبو شعر، المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب ، ص:82.

[27]–ابن منظور، اللسان، مادة "خفي"، ج2، ص: 1216 .

[28] – الداني، التيسير،ص:45 ، و 17 –

[29] –سعيد عبد الوارث،تيسير التجويد،دار البحوث العلمية،الكويت،ص:49

[30] – ينظرداود عبده،دراسات في علم أصوات العربية،ج2/203 و204 .

[31] –المرجع نفسه،ص:204

[32] – عبد الرحمان الحاج صالح،مسائل في مصطلحات التجويدلفضيلة الشيخ جلال حنفي والإجابة عنها، مجلة اللسانيات ،معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر،العدد06،سنة1982، ص:12 .

[33] – ينظر الداني ، جامع البيان : 735/2 والتحديد ، ص:115

[34] –ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات الغوية،ص:187

[35] –الخليل ، العين:ج4/395 ، مادة (غدم)

[36] –أبو علي الفارسي ، التكملة،تح حسن شاذلي فرهود، ط السعودية، ط1، 1410هـ/1990م، ص: 25 .

[37] –ينظر غانم قدوري الحمد،المدخل إلى علم أصوات العربية،ص:226 .

[38] –ينظر ابن يعيش، شرح المفصل:121/10و122و131؟

[39] –ينظر ابن الجزري،النشر

[40] –سيبويه، الكتاب:4-487 ؟

[41] –ينظرغانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص:328 .

[42] –لأن التاء حرف ضعيف للهمس الذي فيه،والطاء حرف قوي للإطباق والاستعلاء والشدة التي فيها ، وكذلك الجهر بالنسبة للقدماء،لأنها مهموسة في النطق المعاصر.

[43] –سيبويه،الكتاب:448/4 و449و450و451و454و462

[44] ––ينظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر:ج278/1

[45] –ينظر غانم قدوري الحمد،المدخل إلى علم أصوات العربية،ص:232 .

[46] –ينظر غانم قدوري الحمد،المدخل إلى علم أصوات العربية،ص:234 .

[47] –المرعشي، جهد المقل، ص:184

[48] –الرضي الاستلابادي، شرح الشافية:234/3

[49] –ينظر غانم قدوري الحمد،المدخل إلى علم أصوات العربية،ص:231.

[50] –ينظر سيبويه، الكتاب:416/2 والاسترابادي، شرح الشافية:279/3

[51] –المنافقون:10

[52] – ينظر سيبويه ، الكتاب:416/2 و417، والاسترابادي، شرح الشافية:279/3

[53] – ينظر سيبويه ، الكتاب:414/2

[54] – سيبويه ، الكتاب:2/ 417

[55] – ينظر كتاب السبعة ،ص:116 ،

[56] –ينظر عبد المعطي جاب الله،الإدغام بين النحويين والقراء،ص:

[57] –ينظر المرجع نفسه،ص:86

[58] –ابن الجزري،التمهيد في علم التجويد، ص: 142

[59] –عبد المعطي جاب الله،الإدغام بين النحويين والقراء،ص:107

[60] –ينظر عبد المعطي جاب الله،الإدغام بين النحويين والقراء،ص:42.

[61] –ينظر سيبويه، الكتاب:412/2

[62] –عبد المعطي جاب الله،الإدغام بين النحويين والقراء،ص:115 .

[63] –ابن الجزري، النشر في القراءات العشر:12/2

[64]– –ينظر: الفراء ، معاني القرآن ،ج1، ص:206

[65]– ينظر الداني ، جامع البيان : 692/2

[66]–ابن عصفور، الممتع في التصريف،ت فخر الدين قباوة، ط1399،4هـ، دار الآفاق ،بيروت:724/2 ؟

[67]–الزمخشري،الكشاف عن حقائق التنزيا:407/1 ؟؟

[68]–عبد المعطي جاب الله،الإدغام بين النحويين والقراء،ص:117 عن السمين الحلبي،الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:690/2 و691 .

[69]–إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية، ص:199 ؟؟

[70]– عبد المعطي جاب الله،الإدغام بين النحويين والقراء،ص:118.

[71]– وقد يكون القرب في الصفات كالميم والنون ، فمع أن الطاء أقرب مخرجا إلى النون من قرب الميم منها ، إلا أنها عدت من حروف الإخفاء ينظرالمصدر نفسه،ص98 .

[72]–المرعشي، جهد المقل، ص:184

[73]–مصطفى الكرور، الجامع لأحكام روايتي ورش وقالون عن الإمام نافع، ص:128 .

[74]–ابن يعيش، شرح المفصل:143/10و144

[75]–– ينظر منصور بن محمد الغامدي ،وحسني المحتسب ، ومصطفى الشافعي ، قوانين الفنولوجيا العربية ،مجلة جامعة الملك سعود : علوم الحاسب والمعلومات العدد16، ص: 04

[76]– ينظر ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد ، ص: 157 .

[77]–ينظر عبد الغفارحامد هلال،النظريات النسقية في أبنية العربية، ص:285

[78]– مصطفى الكرور، الجامع لأحكام روايتي ورش وقالون عن الإمام نافع، ص:128

[79]– ابن يعيش، شرح المفصل:ج143/10

[80]– ينظر مصطفى بوعناني، الفنولوجيا التوليدية المتعددة الأبعاد – المماثلة و التناغم في اللغة العربية ، عالم الكتب الحديث ، ط1، الأردن، 1431هـ/2010م، ص: 30 .

[81]– ينظر عبد الله أبو شعر ، المصطلحات الصوتية ، ص: 153 .